النظرية الأولى: التوقيف أو الإلهام أو الوحي: وهذا الاتجاه يرى أن اللغة توقيف من الله تعالى ولا دخل للإنسان في نشوئها، واوّل من قال بها ابن عبّاس ومن فلا سفة اليونان هيروقليدس، وتبعه-م في هذا الرأي أحمد بن فارس ، ومحمد بن فورك الأصفهاني.

ويستند أصحاب هذا المذهب إلى الأدلة النقلية ومن ذلك ما جاء في القرآن الكريم قال تعالى: ((علّم آدام الأسماء كلَّها)). وقوله في ذم من وضعوا أسماء غير توقيفية "((**إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ**)) النجم:23. والآية نزلت في ذمّ أوثان وضعها الكفار ويعبدونها من دون الله .

يقول أحمد بن فارس: "اعلم أنّ لغة العرب توقيف، ودليل ذلك قوله تعالى: ((**وعلّم آدم الأسماء كلَّها**)). البقرة:31. ". فاللغة إلهام ووحي من الله، ولا يد للإنسان في وضعها.

نقد: إنّ حجة هؤلاء حجة نقلية فقط، والنص الذي اعتمد عليه ابن فارس لا يقوم دليلا على مراد قوله، لاختلاف المفسّرين حولها، فقد يكون تأويلها أقدر آدم على التسمية، يقول ابن جني: "وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله أقدر آدم على أن واضع عليها، فإن كان ذلك محتملا، سقط الاستدلال به" (ابن جني /الخصائص ج1).

ولو كان المقصود تعليمه الأسماء حقيقة، فالأسماء وحدها لا تشكل اللغة، فهناك الأفعال والحروف أيضا (تراكيب اللغة تتشكل من اسم مع اسم، أو فعل مع اسم)، ولو كانت اللغة توقيفية لما جاز إدخال أي شيء فيها، لكنّنا نعدّل ونغيّر، **من عصر إلى عصر، ونُضِيف مصطلحات ونُحوّل مدلولات بعض الكلمات نحو السيارة، القطار...**

النظرية الثانية : المواضعة والاصطلاح: ويتلخص هذا الاتجاه في كون اللغة من وضع الإنسان، حدثت **بالمواضعة** والاتفاق بين أفرد المجتمع، يقول ابن جني "**هذا موضع محوج إلى فضل تأمّل، غير أنّ أكثر أهل النظر على أنّ أصل اللغة إنما تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف.**"الخصائص ج1ص40.

ويقول بعدها : " لنعد فلنقل في الاعتدال لمن قال بأن اللغة لا تكون وحياً، وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة، قالوا: وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدًا؛ فيحتاجوا إلى الإنابة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظاً، إذا ذكر عرف به ما مسماه؛ ليمتاز من غيره، وليغنى بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين" الخصائص ج1، ص 44.

فمعنى المواضعة هنا أن يجتمع مجموعة من البشر ويحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء فيتفقون على لغة معينة بينهم، كأن يقول هذا أسمّيه كذا وذاك كذا حتى آخر الأشياء والمسميات والأفعال والحروف والمعاني المعنوية.

وأوّل من أشار إلى هذا المذهب أبو الحسن الاخفش (ت211هـ)، ورأي أن اللغة لم توضع كلها في وقت واحد، وإنما تلاحق وضعها وتتابع.

وذهب إلى هذا الرأي الفيلسوف اليوناني "ديموكريت، وعنه أخذ فلاسفة العصر الحديث ومنهم آدم سميث، ومن العرب المحدثين جورجي زيدان .

نقد: النظرية تفتقر إلى وجود ادلة واضحة، فالتواضع على لغة معيّنة بين أفراد المجتمع يحتاج هو الآخر إلى لغة سابقة يتم بها التواصل والتفاهم على وضع لغة مشتركة بين هؤلاء المجتمعين.

النظرية الثالثة: المحاكاة وتقليد أصوات الطبيعة، ويتلخص هذا الاتجاه بالقول بأن اللغة الانسانية نشأة نتيجة تقليد الانسان للأصوات التي تصدر منه أو من الحيوانات المحيطة به أو حتى الأشياء الأخرى .

فاللغة عندهم محاكاة لأصوات الطبيعة عموما، وتقليد للأصوات المسموعة نحو أصوات الحيوانات والأشجاز والرعد(دوي الريح، نهيق الحمار، صهيل الفرس، ثم ولدت اللغات بعد ذلك وتطوّرت .

يميل إليها كثير من الباحثين ويستندون إلى لغة الطفل التي تبدأ تقليدا ثم تتطوّر شيئا فشيئا، يقول ابن جني في عرضه لهذه النظرية : « وذهب بعضهم إلى أنّ أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات، كدويّ الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء و شحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي ونحو ذلك. ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد. وهذا عندي وجه صالح ، ومذهب متقبّل» الخصائص/ج1ص46

نقد:

يرى العلماء أن هذه النظرية تنزل بالإنسان إلى ما هو أقلّ منه، فصارت الحيوانات والطيور والجماد هي التي تعلّم الإنسان اللغة، والله سبحانه وتعالى جعل الإنسان أعظم مخلوقاته.

كما أنّ اللغات الراهنة لا تشتمل إلا على قدر ضئيل جدا من الكلمات التي ترتبط أصواتها بمعنى الكلمة.

فهذه النظرية وإن صدقت في تفسير بعض الكلمات الني لها جذور صوتية لكنها تبقى عاجزة عن تقديم تفسير لنشوء الكلمات المعنوية في اللغة التي لا علاقة لها بالصوت ومحاكاته من مثل الجود والشرف والإباء .

مناقشة موقف ابن جني:

ولو أردنا معرفة موقف ابن جني من هذه النظريات التي عرضها ونقد بعضها في كتابه الخصائص لوجدنا أنه كان مضطربا جدا في تحديد موقفه بين القول بالإلهام والتوقيف، والقول بالتواضع والاصطلاح تارة والاعتراف بمقبولية موقف من ذهبوا إلى القول في نشأة اللغة بمحاكاة

أصوات الطبيعة. لكن اغلب حيرة ابن جني كانت بين القول بتوقيفية اللغة من الله سبحانه وتعالى ، أو القول بكونها مواضعة واصطلاح، يقول: « إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة، الكريمة اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة والدقة، والإرهاف، والرقة، ما يملك عليّ جانب الفكر، حتّى يكاد يطمح به أمام غَلْوِة السحر... فقوي في نفسي اعتقاد كونها توفيقا من الله سبحانه، وأنّها وحي »

وأحيانا يقف موقف الحائر لا يدري أهي توقيفية أم اصطلاحية فيقول:« فأقف بين تين الخلتين الإلهام والعرف حسيراً، وأكاثرهما فأنكفئ مكثوراً، وإن خطر خاطر فيما بعد، يعلّق الكف بإحدى الجهتين، ويكفها عن صاحبتها، قلنا به، وبالله التوفيق »

فخلاصة موقف ابن جني من نشأة اللغة أنه وقف موقفاً وسطاً، فقال بالإلهام والاصطلاح معاً، فموقفه موقف مضطرب يتوسط القول بالإلهام والوحي تارة، والقول بالتواضع والاصطلاح تارة أخرى، مع ميله للثانية أكثر